مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 13 العدد 1، 2016، ص ص 99- 113

من نماذج الاغتراب في الرواية النسائية الإيرانية

سمية آقاجاني* و كبرى جبارلي**

ملخص

يلقي هذا البحث ضوءاً على أبرز الروايات النسائية الإيرانية التي تجلت فيها ظاهرة الاغتراب بصورة واضحة. وبما أن ظاهرة الاغتراب في الروايات المدروسة ناتجة عن هيمنة السلطتين السياسية والاجتماعية على الشخصيات الروائية، فقد قسّمنا الدراسة إلى نوعين من الاغتراب هما: الاغتراب السياسي، والاغتراب الاجتماعي.

وتبدى لنا، من خلال الدراسة، أن الإحساس بضرورة المشاركة الاجتماعية والسياسية هو الخطوة الأولى لتحرير الإنسان من عناصر اغترابه الاجتماعي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الرواية النسائية الإيرانية، الاغتراب السياسي، الاغتراب الاجتماعي.

مقدمة:

إن ظاهرة الاغتراب (Alienation) فرضت نفسها على حياة البشر منذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، فتعرّض الناس عبر التاريخ لكل أنواع الاغتراب بسبب التناقض الناشئ بين الواقع المعيش والفطرة البشرية التي "تميل إلى السلامة والاستقامة"[1].

إنّ استعراض الأبحاث المتعلقة بمفهوم الاغتراب يكشف عن وجود الاختلاف في استعمال هذا المصطلح وتعدد معانيه. فكثير من الباحثين استخدموا هذا المصطلح بمعنى" انعدام السلطة، والانفصام عن الذات، والاستياء أو التذمر، والعزلة، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط وغير ذلك من المعاني"[2]. ربما نجد في استعمالات لفظة الاغتراب ومعانيها المختلفة قاسمًا مشتركًا، وهو فكرة الانفصال؛ ذلك أن "حالة الاغتراب دخيلة على جوهر الإنسان، وتجعله يشعر بالانفصال والعزلة والانسلاخ عن الآخرين والعالم والذات"[3].

ينتج الاغتراب، في المجتمعات غير المتحضرة، من هيمنة الدولة على المجتمع، وتسلط الأنظمة الاجتماعية القسرية التي يمثلها النظامُ الأبوي والمؤسساتُ الدينية، لهذا نرى "الأنظمة

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2016.

* باحثة من إيران.

** قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

والمؤسّسات الاجتماعيّة والسياسيّة في هذه المجتمعات "أنظمة مغرِّبة"، تُشارك في إفقار الإنسان وتدجينه وقهره وتهميشه وإحالته إلى كائن عاجز، لا يقوى على مواجهة تحديات العصر"[4]. على هذا النحو يُخلق الاغتراب السياسي والاجتماعي في المجتمعات المتخلفة من انعدام العلاقة المتبادلة بين الدولة والمجتمع من جهة، والفرد والمؤسسات الاجتماعية، وخاصة العائلية منها؛ لكونها مؤسسات "هرمية قمعية في تنظيمها"[5]، من جهة أخرى.

وتهدف هذه الدراسة، إلى معالجة الاغتراب السياسي والاجتماعي في الرواية النسائية الإيرانية؛ ذلك أن الكاتبة الإيرانية اهتمت باغتراب الإنسان،المرأة والرجل على السواء، في رواياتها اهتماماً بارزاً، كما اهتم كثير من فناني العالم بموضوع الاغتراب وانفصال الإنسان عن الإنسان في أعمالهم الفنّية. وبما أن السلطتين السياسية والاجتماعية خلقتا شعورًا بالغربة لدى الشخصيات الروائية في الروايات المدروسة، فإننا سنقسّم هذا البحث إلى قسمين: الاغتراب السياسي، والاغتراب الاجتماعي.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ المقصود من مصطلح "الرواية النسائية"، هو مصطلح الرواية التي كتبتها المرأة، وليس تمييزاً بين "الأدب الذكوري" و"الأدب الأنثوي"، لهذا لا يركز البحث على مظاهر الاغتراب الأنثوي، بل يلقي ضوءاً على مظاهر الاغتراب الإنساني بشكل عام، في نماذج من روايات المرأة الإيرانيّة.

ونسعى إلى رصد الرواية النسوية الإيرانية منذ ولادتها (1969م) حتى السنوات الأخيرة، وقد تناولنا الاغتراب في جميع الروايات التي كتبتها المرأة الإيرانية قبل الثورة الإسلامية، التي لا يتجاوز عددها ثلاث روايات وهي: "سووشون"Souwashoon لـ "سيمين دانشور" Simin Daneshwar و"سبات الشتاء" لـ "گـلي ترقي"Goli Taraqi و"الكلب والشتاء الطويل" لـ "شهرنوش بارسي بور"Sharnoosh Parsipoor، إلا أننا لم نتناول جميع الروايات النسائية التي صدرت في فترة ما بعد الثورة الإسلامية بسبب غزارة الإنتاج الروائي النسائي في تلك الفترة، واكتفينا بتناول بعض الروايات التي تجلت فيها ظاهرة الاغتراب.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء، وعلى حد علم الباحثتين واطلاعهما، لم يتم العثور على أي دراسة قريبة أو مشابهة في محتواها تتناول موضوع البحث أو إحدى جزئياته؛ لذا جاءت هذه الدراسة، وبوصفها من أوائل الدراسات في هذا الجانب من البحث الأدبي، لتتناول موضوع الاغتراب في الرواية النسائية الإيرانية بشكل عام، ولتفتح الباب أمام دراسات مستقبلية تتناول هذا الموضوع في كل رواية بشكل خاص.

مدخل إلى الرواية النسائية الإيرانية:

خمسة وأربعون عامًا مضت على بداية الرواية النسائية الإيرانية المتمثّلة بـ رواية "سووشون"(1969م) لـ"سيمين دانِشوَر"، رغم تأخر ظهور الرواية النسائية، مقارنةً بالبداية الجديّة للرواية الفارسية المتمثّلة في "رحلة إبراهيم بيگ"(1904م) لـ "زين العابدين مراغه اى". إلّا أنّ المرأة الإيرانية قطعت مرحلةً كبيرةً منذ كتابة روايتها الأولى، حيث تُعدّ الروايات النسائية الأولى، وعلى رأسها "سووشون"، من أفضل الروايات الفارسية؛ وذلك "لتناولها مسائل سياسية وتاريخية بمنتهى الدقة"[6].

سلطت الرواية النسائية الإيرانية منذ بداياتها، الضوء على الموضوعات السياسية والاجتماعية، دون أن تلتفت إلى الهمّ الخاص بالمرأة؛ غير أن هذا الوضع تغيّر في الفترات الأخيرة ولا سيما في العقد الأخير، إذْ أقبلت شريحة واسعة من الروائيات الإيرانيات على الموضوعات الاجتماعية المتمثلة في قضية المرأة ونفسيتها وهواجسها داخل البيت دون الاهتمام بالهم السياسي الذي وجدناه عند الرائدات، الأمر الذي دفع بعض النقاد والكتّاب إلى إطلاق عنوان "أدب المطبخ"[7]على كتابات المرأة الإيرانية في السنوات الأخيرة.

ربما يعود توجه الكاتبات الإيرانيات إلى الانغماس في همّهنّ النسوي الخاص والانسلاخ عن الهموم السياسية، إلى عوامل مختلفة أهمها الحاجة إلى التعبير عن عوالمهّن الخاصة، ذلك "أنّ الظروف التاريخية والثقافية لم تسمح للمرأة أن تكشف عن زوايا شخصيتها الخفية في مرحلة مبكرة، لذلك، أدركت المرأة فيما بعد ضرورة الكشف عن الزوايا المجهولة من روحها وذهنها"[8].

ويلاحظ المتأمل في الرواية النسائية الإيرانية أن المرأة الإيرانية أقبلت على كتابة الرواية بعد الثورة الإسلامية إقبالاً ملحوظاً، حيث "يطغى الإنتاج الروائي النسوي في الثمانينيات والتسعينيات على إنتاج الرواية التي كتبها الرجل في هذين العقدين. ذلك أن تجربة الثورة والحرب، وتبعاتها الاقتصادية، والنفسية قذفت المرأة إلى ساحة الأحداث، كأنّ التاريخ أصدر مرسوماً بضرورة حضور المرأة الإيرانية في المجتمع"[9].

الاغتراب السياسي:

يمكن القول أن الاغتراب السياسي بهذا المعنى، نجده عند المثقفين الذين يمتلكون وعياً سياسياً إذ ترغمهم الحكومة على العزلة أو التمرّد؛ ذلك أن "المثقف، خاصة في ميدان السياسة، ليس مصدر راحة للسلطة"[10]. من هنا يُعرّف سقراط المثقف والفيلسوف بـ " مغتربٍ أبدي بيننا"[11]، ويربط هيجل بين "ظروف الفرد" و"الاغتراب"، فالاغتراب في نظره "يحصل من تفاوت بين ظروف الفرد الحقيقية وطبيعته الجوهرية، الأمر الذي يقود إلى الشعور بالاغتراب الذاتي"[12].

تنعكس ظاهرة الاغتراب السياسي في رواية "سووشون" (1969م) لـ "سيمين دانشور" بشكل لافت. وترسم لنا الكاتبة في هذه الرواية صورة "يوسف" المثقف الوطني الذي يقف في وجه خونة الوطن والاستعمار الإنجليزي إبان الحرب العالمية الثانية في مدينة "شيراز"، جنوبي إيران، حيث تدور أحداث الرواية. و"يوسف" أنموذج الوطني الذي يعاني من الاغتراب داخل وطنه الذي يدافع عن حقوق الناس في زمن يسيطر فيه المستغلون الذين يقفون إلى جانب الاستعمار الإنجليزي خدمة لمصالحهم الشخصية الضيقة. إنَّ "يوسف" الذي يملك الأراضي الزراعية الواسعة يرفض أن يبيع محاصيله الزراعية للقوات الإنجليزية المستقرة في جنوبي إيران في زمن يموت الناس فيه من الجفاف والجوع. ويقول "يوسف" لأخيه "خان كاكا" الذي هو أنموذج لخونة الوطن في الرواية:"جعلوكم في طرفة عين سماسرتهم وخدمهم ومترجميهم، اسمحوا، على الأقل، لشخص واحد أن يقف في وجههم حتى يقولوا في أعماقهم: رأينا في نهاية المطاف رجلاً غيورًا"[13].

يتمثل اغتراب "يوسف" في صموده في وجه عملاء الاستعمار في زمن لا يفكر أحدٌ في مصالح الناس والوطن. هو أنموذج إنسان يعاني من اغتراب قهريا مع أنه في وطنه، وتؤكد شخصيات الرواية على هذا الأمر، خاصة بعد استشهاده على أيدي الإنجليز، فتقول شقيقة "يوسف": هذا الزمن هو زمن المستغلين من أمثال (خان كاكا). لا نعرف متى يجيء زمن (يوسف)؟"[14]، كما تقول شخصية أخرى:" كان يعرف أن زمنه وزمن أمثاله لم يأتِ بعد، لكنه كان يقول لي، في مرات عديدة، إنَّ مَهَمتنا هي أن نعجّل قدوم هذا الزمن".[15]

إنَّ "يوسف" الذي يرزح تحت وطأة اغتراب سياسي واجتماعي يحاول تحقيق نوعٍ من التوازن النفسي بسلوكه المتمرد، ويصل اغترابه إلى ذروته حينما يرى نفسه وحيدًا ومنبوذاً لا يشاركه أحد في مقاومة الاستعمار.

ونجد ظلال الاغتراب السياسي مهيمنةً على شخصيات رواية "سبات الشتاء" الرواية النسائية الثانية التي كُتبت في إيران عام 1972م من قبل الكاتبة "گـلی ترقی". ويسترجع الراوي، في كل فصل من فصول الرواية، ذكرياته مع أصدقائه الذين عاشوا حلم التغيير، إلا أنَّ بعضهم لم يجد جرأة الانفصال عن نمط الحياة المتكرر برتابة مقيتة، فظلوا أشخاصاً عاديين عاجزين عن إحداث أي تغيير جذري في حياتهم، وبعضهم الآخر من أصحاب الرؤى والتطلعات السياسية، يواجهون قمع الحكومة وأجهزتها الاستخبارية.[16]

إن "السيد جليلي" هو من الشخصيات التي تصطدم بقمع السلطة السياسية، فهو في رواية "سبات الشتاء" أنموذج المثقف المبتلى بالاغتراب السياسي الذي منعته السلطة السياسية المستبدة المتمثلة في الأجهزة الاستخبارية من حقّه في أن يكون له دورٌ سياسيٌ في رفعة الوطن،

ومما يزيد من اغتراب "السيد جليلي" هو قمع السلطة الاجتماعية له والمتمثل بأعمال أسرته القهرية، حيث تكمّم اسرتُه فمه وتشده إلى السرير؛ بغية منعه من الكلام الذي يثير غضب الحكومة، فتُظهر"گـلی ترقی" لنا كيف تتحالف السلطتان السياسية والاجتماعية على كبت المثقف، وسلب حريته الأساسية وحرية التعبير.

ويتبدى لنا اغتراب "السيد جليلي" بوضوح في كلام الطبيب الذي دُعي لتحديد أسباب مرضه. يقول الطبيب:" ماذا أقول. لقد أصبح شبيهاً بالعصفور الدوري الذي يريد أن يطير ولكنه لا يقدر".[17] هكذا يعيش المتلقي القهر الذي يواجهه المثقف الواعي في مجتمعاتنا، حيث تقلّم السلطة السياسية والاجتماعية جناحيه من خلال منعه من المشاركة المؤثرة والإيجابية في حياة الوطن السياسية مما يشعره بالإحباط ويحول دونه ودون تحقيق ذاته وخياراته التي يؤمن بها.

وتقدّم لنا الكاتبة "شهرنوش بارسي بور" في رواية "الكلب والشتاء الطويل"(1976م) أنموذجاً بارزاً للمغترب السياسي في عقد السبعينيات قبل الثورة الإسلامية في إيران، فيعايش المتلقي في الرواية المذكورة معاناة "حسين" الشاب المثقف الذي يذوق طعم السجن ثلاث سنوات بسبب أفكاره الثورية، وتعمق اغترابه من نظرة المجتمع السلبية إليه بعد خروجه من السجن.

ترسم لنا "شهرنوش بارسي بور" في هذه الرواية كيف يقتل النظام الاستبدادي والمجتمع الذكورّي مواهب المثقفين ويجعلهم منعزلين ومنكفئين على ذواتهم ويسلب منهم الحيوية التي تنبع من المشاركة الإيجابية في حياة الوطن السياسية والاجتماعية. فعبّر "حسين" عن اغترابه مخاطباً أخته "حوري": " أحسُ في غالب الأحيان بأنني سُجنت كفأر تجارب في المختبر، ويريد عدد من العلماء أن يعرفوا أي فأر من الفئران أذكى. ما يعذبني هو أن هؤلاء العلماء قد اتفقوا أن يقتلوا الفئران الذكية حتى يفحصوا أدمغتها... تصوّري فأراً ذكياً قد أدرك أنه يمشي في المختبر. ماذا عليه أن يفعل؟ هل ينبغي أن يظهر ذكاءه؟ وهو يعلم أنه سيفقد حياته. أم يتظاهر بالغباء؟ وإذا فعل فإلى متى سيواصل؟ حتى آخر أيام حياته؟**!...** أتعذبُ دوماً من الشعور أنني في مختبر "[18].

على هذا النحو تُظْهِرُ لنا الكاتبة في هذا المقطع من الرواية، وببراعة، ملامح الاغتراب السياسي الذي يعاني منه المثقف الإيراني في عقد السبعينيات من القرن العشرين، حيث يحاول النظام أن يلغي فردية المثقف المتميزة من خلال الرقابة والسجن، ويرغمه على أن يرتدي قناع الغباء والصمت الذي تلبسه الأكثرية الساحقة في المجتمع. "إنَّ وضوح الوجه أو تعيين الفردية في ظل النظام الاستبدادي الذي يقتل الفردية قبل نموها، تعبير عن اغتراب لا هروب منه"[19].

وهذه الفردية جعلت بطل "شهرنوش بارسي بور" يعرف رغباته الذاتية وطبيعة النظام الذي يعيش فيه، حيث لا يقدر على الحياة فيه إلا الأغبياء والذين يتظاهرون بالغباء. فهكذا تتولد لديه

مشاعر الغربة والعزلة والاكتئاب. ويعرب "حسين" عن اغترابه لـ "حوري" بصراحة أكثر ويخاطبها:" يا عزيزتي حوري، كيف يمكن لنا أن نناضل ضد إرادة السلطة؟ هناك دوماً أقلية ترشح نفسها للسلطة. هذه الأقلية تشكل دائماً رأس الهرم. أنا لم أكن ولن أكون مرشح السلطة، وعلى هذا الأساس كنت أناضل وبالتالي كنت أحس بالعزلة أكثر فأكثر... هل تعرفين أين تكمن تعاستي؟ لم يعد يفهم كلامي أحدٌ الآن، أنا صرت مسجوناً في قنينة فارغة من الهواء"[20].

يتضح لنا عبر هذا النص الروائي حال المثقف بداء الاغتراب الذي يحيا حياة العزلة والانزواء، لأنَّ القوى السياسية المستبدة ترغمه على الابتعاد عن السلطة من جهة، والسلطة الاجتماعية لا ترى قيمة كبيرة للمفاهيم التي ينادي بها المثقف من جهة أخرى، فينعدم تفاعل الفرد المثقف عاطفياً وفكرياً مع الحكومة والمجتمع، وبالتالي يولد الانفصال بين المثقف والسلطة وبين المثقف والآخرين حتى يشعر المثقّف بأنَّ لا أحد يفهم كلامه، الأمر الذي يؤدي إلى دفعه قسرًا إلى ذروة اغترابه.

وترسم لنا "غزاله عليزاده" مثقفا ًمُبتلى بالاغتراب السياسي في رائعتها "بيت الإدريسيين"(1992م) متمثلاً في شخصية "وهاب" الذي يعيش في بلد مجهول يسيطر عليه الانتهازيون والمستبدون الذين يرفضون النقد والفكر الجديد. يتمثل اغتراب وهاب في انعزاله وانطوائه على ذاته، وهو متخرّج من إحدى الجامعات الغربية. يعرّفه الراوي العالِم بكل شيء في الصفحات الأولى من الرواية على هذا النحو:

"كان وهاب في الثلاثين من عمره، لكنه كان يبدو أكبر سنًا. كتفاه نحيفتان ومتدليتان، وجهه ذابل وشاحب، وعيناه جديتان دون أي بريق. كان قد درس في المدارس الداخلية في إنجلترا... كانت آثار الأرق بادية على عينيه كان لا يحب الخروج من البيت، ويقول إنه يتمنى أن يكون في حماية أحد من الناس. كان يزور مكتبةً، صاحبُها من معارفه، مرتين في الشهر. وكان يترك له صاحب المكتبة الكتب الجديدة، فيدفع ثمنها، ويحملها عائدًا إلى منزله مقطب الجبين وزام الشفتين"[21].

إذن يبدو وهاب لا يشتغل ولا يخرج من البيت، بل يملأ وقته في مطالعة الكتب. إنَّ السؤال الذي يخطر على بال المتلقي هو لماذا لا يشتغل وهاب بالتدريس وهو المثقف المتخصص في علم الآثار والتاريخ؟ ولماذا لا يستخدم علمه حتى يفيد المجتمع وشعبه؟!!. تطرح إحدى شخصيات الرواية السؤال ذاته على وهاب، فيضحك وهاب بصوتٍ عالٍ ويردّ:" أي درس؟! الرجعية؟.. فكّر بطريقة منطقية! الم تدرك إلى الآن، أنني حيوان منبوذ يحمل أفكارًا رجعيةً في هذا المجتمع، لايطيقون تنفسي، فما بالك بأن أدرّس"[22].

على هذا النحو، يكمن سبب اعتزال وهاب عن المجتمع، وهو السلطة السياسية التي تحوّل البشرَ إلى "أقنعة متناظرة تمحو الخصوصية بعموميّة إيديولوجية فارغة"[23]. ففي ظل النظام الاستبدادي يُمنع المثقف من البوح بأفكاره، إذ من المفروض أن يأخذ بعقيدة السلطة الفارغة حتى ينال مكانة في وطنه، لهذا يأخذ الوطن شكل المنفى بالنسبة لأصحاب الكفاءة كـ "وهاب"، حين يرى نفسه عاجزاً عن عمل أي شيء من أجل الوطن، و"مع هذا النفي تظهر الغربة عن الذات المهمشة"[24].

وتُظهر الكاتبة اغتراب وهاب في مقطع آخر من الرواية، حين يجد وهاب نفسه منبوذاً على هامش الحياة:"وضع وهاب بنانه على الفنجان الساخن؛ ليحس بالدفء. نظر إلى يديه الشاحبتين، المتعبتين المرتجفتين: ثلاثون عاماً من الحياة النباتية، فالعشب ينمو، على الأقل، ولكن وهاب كان جذعاً يابساً، وأجوف، ومهمشًا. كان ينتقل من حلم ليلي إلى آخر. كان يرشف كل جرعة من الشاي بصعوبة ويفكر بطول أيام العمر المملة"[25].

إذن نجد وهاب مثقفا مهمَّشا منفصلا عن الحياة والمجتمع، لم يُنتج شيئاً طوال أيام عمره الثلاثين إلّا الخيبة والحلم، فهو غير راضٍ عن هذه الحياة الجافة، المحفوفة بالمعاناة طيلة سني عمره. وهذا ما يؤسس للغربة في الوطن، حيث تحرم الأجيال الصاعدة من دورها في ممارسة الإرادة والمشاركة في قضايا الوطن. وترسم لنا الكاتبة معاناة "وهاب" من انعدام حرية التعبير في ظل هيمنة الحكومة المستبدة:" يشعر بأن سوطاً غير مرئي مسلّط فوق رأسه عند أي كلمة أو حركة"[26].

هكذا يعبّر المثقف عن مخاوفه من الحكومة التي سلبت أهم الحريات وهي حرية التعبير، فيلجأ "وهاب" المثقف المغترب إلى العرفان والتصوف انطلاقًا من أن الاغتراب السياسي يلازمه الاغتراب الديني " فالفرد حين يغترب سياسيًا يلجأ إلى الاحتماء في طبيعة أبدية تجاوز ذاته"[27].

في ضوء ما قدّمته الكاتبة الإيرانية عن الاغتراب السياسي في مجتمعها، يبدو لنا أنّها صوّرت لنا ملامح الحلقة المفرغة من عدم الثقة المتبادلة ما بين الشعب والسلطة، حيث حرمت الأنظمة الاستبدادية الشعب من حرياته السياسية، وعطلت دوره في خدمة مجتمعه والانخراط والتفاعل مع شؤونه العامة، والمشاركة في صنع القرارات المصيرية، مما جعل الشخصيات الروائية تشعر بالاغتراب عن الذات والمجتمع والدولة.

الاغتراب الاجتماعي

إنّ الاغتراب الذي خلقته الأنظمة الاجتماعية بكل وجوهها يؤدي بشكل أو بآخر إلى اغتراب شريحة من النخبة الواعية اجتماعيًا، ذلك أنّ "الأنظمة الاجتماعية،على اختلافها، حين لا تُجسر

الهوة بين وجود الإنسان، وبين قيمه الجوهرية تخلق في الروح المجتمعية ظاهرة الاغتراب باعتبارها الناتج الطبيعي عن قهر النفس، والحرمان من تحقيق الذات"[28].

قد أولت الرواية النسائية الإيرانية منذ ولادتها، اهتماماً فائقاً باغتراب المرأة الاجتماعي، ذلك أنها تحتل موقعًا دونيًا في البنية الاجتماعية في مجتمعها الذكوري الذي لا يقيم وزناً لحياتها ولرغباتها. فتعالج "سيمين دانشور"، الروائية الإيرانية الأولى، في روايتها "سووشون" هواجس المرأة المتعلمة التي تقضي جلّ وقتها لتسيير شؤون البيت والأولاد ولا تجد وقتًا لتحقيق ذاتها. إننا نعايش في هذه الرواية اغتراب "زَري" المرأة المثقفة التي درست في المدرسة الوحيدة التي بناها الإنجليز في مدينة "شيراز". فهي المشهورة بسبب تحدثها اللغة الإنجليزية في المدينة إبان الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك تعمل ربة منزل تربّي أولادها الثلاثة ليل نهار.

تظهر "زري" عدم رضاها عن حياتها الاجتماعية المملّة من خلال تشبيه نفسها بـ "حسين كازروني" وهو عامل يدير بقدميه طول النهار الدولاب الموضوع على البئر؛ لسد حاجة البيت من الماء. ميزة عمل (كازروني) هي الرتابة والاستمرارية، كونه يفتقر للابتكار والتنوع. فحين تنظر زري إلى (كازروني)، وهو يدوّر الدولاب، تقول لنفسها:" هكذا انقضت أيام حياتي كلها. جالسة خلف دولاب الحياة أسقي الورود"[29].

على هذا النحو تنقد الكاتبة، التي تناغَم صوتها مع صوت بطلتها "زري"، الوضع الاجتماعي للمرأة الإيرانية المنتمية إلى الطبقة الوسطى في منتصف القرن الماضي، حيث ينحصر كيان المرأة في الإنجاب وتربية الأولاد، وترتيب الأمور المنزلية مع عجزها عن الاهتمام بذاتها وفرديتها، وعن تحقيق إنسانيتها من خلال العمل الخلاق؛ الأمر الذي يجعل المرأة تشعر بالاغتراب عن ذاتها حتى لا تحسُّ بفاعليتها، ولا بأهميتها، ولا بوزنها في الحياة التي تحياها، كما كان الحال بالنسبة إلى بطلة "سووشون".

اللافت للنظر أن هاجس المرأة الإيرانية في البحث عن الذات وتحقيقها، تحت وطأة أعباء الأعمال المنزلية لا يزال حاضرًا بقوة في الروايات النسائية التي كُتبت في إيران حتى الوقت الراهن، إذْ خُصّص في الروايات الأخيرة حيزٌ أوسع لهذه القضية مقارنة بروايات عقدي السبعينيات والثمانينيات، وهذا دليل على أن المرأة الإيرانية لا تزال تحاول العثور على هويتها المفقودة.

فها هي الكاتبة "زويا پيرزاد Zoya Pirzad ترسم في روايتها الشهيرة" أنا أطفئ المصابيح"(2001م) اغتراب المرأة التي احتارت بين مسئوليات الأمومة ومسئولياتها المنزلية، والاحتفاظ بشخصيتها وبهويتها الإنسانية التي يمنع واقعها اليومي تحققها. تتناول الكاتبة في هذه الرواية نفسية المرأة المنتمية إلى الطبقة الوسطى ومكانتها الاجتماعية، وبدأت تعالج جروحها التي أوجدتها قيم المجتمع الذكوري وتقاليده عبر التاريخ.

إن "كِلاريس"، بطلة الرواية، هي ربة المنزل التي تهتم بشؤون المنزل والأولاد ليل نهار، أصبحت عاجزةً عن تخصيص وقت لنفسها وهواياتها المتمثلة في قراءة النصوص الأدبية وترجمتها. فهي تعاني من عدم اهتمام زوجها بهواجسها الروحية والصراعات النفسية التي تواجهها في حياتها الزوجية؛ ذلك أنها تريد أن تحقق ذاتها وطموحاتها الثقافية دون أن تضيع نفسها وفرديتها بين الكم الهائل من الأعمال المنزلية التي لا مفرّ لها من إنجازها، في وقتٍ يهتم الزوج بمهنته خارج المنزل وبهواياته الشخصية المتمثلة في قراءة الصحف، ولعب الشطرنج داخل المنزل.

على هذا الأساس يعايش المتلقي كثيراً من حوارات "كلاريس" الداخلية وهي تعبّر عن الاغتراب الروحي والصراعات النفسية التي تعاني منها، بوصفها ربةَ بيت واعية، في المجتمع الذكوري، فتخاطب نفسها:" لماذا لا يهتم أحدٌ بي؟ لماذا لا يسأل أحدٌ عني ماذا تريدين؟ "،[30] "من عمل شيئاً لأجلي إلى الآن؟ ماذا فعلتُ أنا لنفسي رغم مرور ثمانٍ وثلاثين سنة من عمري؟"،[31] "جننتُ من كثرة تحدّثي مع نفسي، تعبتُ من التفرغ للآخرين "[32].

تُبْرِز "زويا پيرزاد" العوائق التي تحول دون كشف المرأة لذاتها حتى تستطيع الخروج من تهميش فرضه عليها المجتمع الذكوري. فيعيش القارئ معاناة "كلاريس" المرأة الواعية المهمَشة التي لا يحترمها أحد، إذ يحدّد الزوج موعدًا لدعوة أصدقائه إلى البيت دون أن يستشيرها أو يقيم وزناً لوقت تنفقه "كلاريس" لإعداد مأدبة العشاء: "ضاق صدري من أعمال لابدّ من إنجازها. تحضير العشاء لضيافة يوم الخميس... ليتني استطيع الاستلقاء على المقعد المريح الأخضر وقراءة قصة (ساردو) عوض إنجاز الأعمال التي اكرهها إلا أنّه يجب إنجازها"[33].

لذا يسمع المتلقي أنين المرأة التي تشعر بالاغتراب في بيئة لا يحترم أحد فيها فرديتها وطموحاتها، وذلك يجعلها تنظر إلى المرأة الناجحة بحسرة وبالتالي يزداد شعورها بالغربة والاكتئاب. فحين تشارك كلاريس في برنامج أعدّته "السيدة نوراللهي"، المرأة الناشطة في قضية المرأة وحقوقها، تذكر حياتها الراكدة المتفرغة للبيت وتقول محزونة:" أنا ما الذي حققته سوى التفرغ للأعمال المنزلية؟".[34] هكذا ترسم لنا الكاتبة اغتراب المرأة التي تحاول أن تنقذ جوهرها الإنساني الثمين من الغرق في مستنقع الحياة الرتيبة التي تتولد في ظل النظام الاجتماعي البطريركي المتسلّط.

إن الكاتبة "بلقيس سليماني" في روايتها "لعبة بانو الأخيرة" (2005م) تعالج الاغتراب الذي تعاني منه "گـل بانو" الفتاة القروية المثقفة في حياتها الزوجية مع الزوج المتدين المتعصب الذي يكبرها بتسعةَ عشرَ عاماً. إن الفقر يرغم "گـل بانو" على أن تتزوج من رجل متزمتٍ وهي

تعرف اختلافهما الفكري والاقتصادي قبل الزواج. فهذا الرجل يتزوج من "گـل بانو" حتى تنجب له ولداً، إذ إن امرأته الأولى لم تنجب. فهي إذاً مجرد رحم يراد منه الإنجاب لا غير.

يتراءى لنا الاغتراب الذي تعاني منه "گـل بانو" في حياتها مع رجل اختارها للإنجاب لا لثقافتها:" أشعر بأنني فرس (مشهدي نوروز). كل من أراد أن يكون له مُهْر، كان (مشهدي نوروز) يذهب بفرسه إلى (جوارون) لكي يُزرَع في رحم فرسه مهرٌ من نطفة كميت (محمد خان)..."[35].

هكذا ترسم لنا بلقيس سليماني عمق الذلّ الذي تشعر به المرأة حين لا يراها الرجل إلا آلةً للإنجاب، الأمر الذي يجعل المرأة تشبه نفسها بفرس يتلخص وجودها في ولادة المُهْر. وتبرز "گـل بانو" اغترابها ومعاناتها في الحياة مرة أخرى وتقول:" أشعر بأنني أمشي على الحبل... حين يختار رجل امرأة لإنجاب الولد فقط"[36]. على هذا النحو تعبّر "گـل بانو" عن مخاوفها وعدم إحساسها بالأمن في حياتها الزوجية التي أصبحت رهن إنجاب الولد، فإذا أصاب خللٌ إنتاجها "البيولوجي" فقدت حياتها الزوجية.

وتندم "گـل بانو" على زواجها من رجلٍ متزمتٍ يسجنها بين جدران البيت معبرة عن حبسها من خلال حوارات داخلية مثل:" لم أرَ شارع (شمس آباد) في النهار منذ ثلاثة أشهر"[37]، ولكن أسرتها الفقيرة ترفض عودتها إلى بيت أبيها الذي أصبح يرتزق مما ينفق زوج "گـل بانو" عليه. فتبرز الكاتبة في العبارة الآتية ذروة اغتراب "گـل بانو" بعد ما تيأس من أن تجد مخرجاً لأزمتها ويرغمها الفقر على العودة إلى الزوج المتعصب:" أفتح علبة الماكياج لأول مرة منذ ثلاثة أشهر، أول ما آخذه هو حمرة التجميل... بمجرد سماع صوت سيارته أمشط شعري بسرعة، أقف بانتظاره أمام الباب، فحين يفتح الباب أقفز أمامه ككلب ينبح وأقول:"مرحبا" "[38].

على هذا النحو تقدّم لنا بلقيس سليماني اغتراب امرأةٍ عاجزةٍ عن تغيير واقعها الاجتماعي المؤلم، حيث ترسم رضوخ "گـل بانو" لواقعها عبر تبرجها لزوجها المتزمت الذي لا تحبه، وهكذا تعبّر الكاتبة ببراعة عن اغتراب بطلتها وكرامتها المهدورة المتمثلة في تشبيه تبرجها لزوجها بنباح كلب لصاحبه.

وتتناول "سودابه اشرفي" في روايتها الشهيرة "الأسماك تنام في الليل"(2004م)" قصة اغتراب المرأة الأم التقليدية التي تنوء تحت وطأة المجتمع الذكوري. إننا نعايش قصة اغتراب "فرنگيس" - الأم التقليدية - من خلال استرجاعات ابنتها "طلايه" التي تقيم في أمريكا منذ فترة طويلة لحياة أمها. وبما أن "فرَنگيس" بطلة هذه الرواية، على خلاف الروايات المدروسة

السابقة، لا تملك وعياً لاغترابها وأسبابه، تروي اغترابها "طلايه" المثقفة التي تعي الاغتراب الذي عاشته المرأة الإيرانية المتمثلة في أمها.

إن اغتراب "فرنگیس" يتولد من رحم أحداث لم يكن لها يد فيها، حيث تزوّجت تحت ضغوط السلطة الاجتماعية وعمرها لا يزيد عن أربعةَ عشرَ عاماً، فتعذبت من سلطة الزوج التقليدي. بالإضافة إلى ذلك، عانت "فرنگیس" من السلطة السياسية الاستبدادية التي سجنت ابنتها وقتلت ابنها الغالي.

إن "فرَنگیس" في رواية " الأسماك تنام في الليل" أنموذجُ المرأة - الأم التقليدية التي تشعر بأنها عاشت في حياتها اغتراباً ما، لهذا لا تريد أن تخوض ابنتها التجارب المريرة التي عاشتها في ظلّ المجتمع الذكوري. فتشجّع ابنتها الوحيدة على الهجرة إلى البلاد المتطورة حتى لا تُكرّر مأساتها. فتقول: " هل أتركها تبقى حتى تصبح مثلي"،[39] "يجب أن لا ترجع ابنتي ولو كان من أجل استلام أساوري لتحتفظ بها كذكرى، لا أريدها أن ترث شيئاً من حياتي، حتى أساوري"[40].

يتراءى لنا في هذه العبارات اغتراب المرأة – الأم التقليدية التي لا تريد أن ترث ابنتها شيئًا من حياتها المأساوية حتى أساورها التي ترمز إلى العادات والتقاليد التي عاشت المرأة تحت وطأتها في مجتمعاتنا. فهي حسب وعيها الساذج، تعزو أسباب اغترابها إلى المكان الجغرافي الذي عاشت فيه، ولذا تشجّع ابنتها على الابتعاد عن وطنها الذي يولّد الاغتراب والإحباط للمرأة، ولو كان الثمن غالياً، وهو اللجوء إلى الغربة. على هذا النحو تنتقد "سودابه اشرفي" الأوضاع الاجتماعية للمرأة الإيرانية حيث تفضّل المرأة الاغتراب المكاني على الاغتراب الاجتماعي الموجود في الوطن.

الخاتمة:

إنّ ظاهرة الاغتراب ظهرت في الروايات المدروسة ظهورًا واسعًا، نتج عن قيام السلطتين السياسية والاجتماعية في خلق إحساس الغربة لدى الشخصيات الروائية. مما يلفت نظرنا أن حضور الرجل المغترب سياسياً في الروايات النسائية الأولى هو الطاغي. ولعل طغيان صورة الرجل المغترب في هذه الروايات، عائدٌ إلى النسبة المتدنية لحضور المرأة الإيرانية في الحياة السياسية والاجتماعية قبل الثورة الإسلامية، كما أنّ "الاغتراب لا يكون إلا بوعي الاغتراب، والنفوس النخبوية هي التي تعي اغترابها في معظم الأحيان"[41]، فيعود طغيان صورة الرجل الذي يعاني من الاغتراب السياسي في الروايات إلى قلة النماذج النخبوية النسائية مقارنةً مع الرجال النخبة في المجتمع الإيراني قبل الثورة.

إنّ النتائج السلوكية الناتجة عن الاغتراب "تتمثل في الانسحاب من المجتمع، أو الرضوخ له ظاهراً والنفور منه ضمناً، أو التمرد والثورة عليه[42]"، وبالتالي جاءت ردة فعل الشخصيات الروائية المدروسة على اغترابها في إطار هذه الحالات، حيث لجأ "وهاب" و"حسين" إلى العزلة، ورضخت الشخصيات النسائية المدروسة جميعها لواقعها المؤلم رغم نفورها منه، كما تمرد "السيد جليلي" و"يوسف" على الواقع السياسي الموجود، الأمر الذي جعل الأول مكموم الفم مشدودًا إلى سرير حجرته، والآخر جثة هامدة في قبر.

Samples of Alienation in Iranian Women's Novels

Sumeh Aqajany, *Researcher from Iran.*

Kebra Gabarly, *Department of Persian Language and Literature, Al al-Bayt University, Mafraq, Jordan.*

Abstract

This study aims at showing the emergence of alienation in Iranian women's novels.The novels under study show that alienation results from the hegemony of political and social power, the study has been divided into two parts: political alienation and social alienation.

On the basis of this study, we can say that political and social engagement is the first step to be free from political and social alienation.

Keywords: Iranian feminine novels, political alienation, social alienation.

قدم البحث للنشر في 2015/6/25 وقبل في 2016/2/10

الهوامش

1 _ ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: محمد بو خبزة وسعيد أعراب، دار الكتاب، بيروت، ط1، 1986، ج17، ص70.

2 - د. قيس النوري:" الاغتراب: اصطلاحا ومفهوما وواقعا"، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول،1979،ص 13، بتصرف.

3 - د. غسان السيد، دراسات في الأدب المقارن والنقد، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، د. ط، 1996، ص 10.
4 - د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006، ص96، بتصرف.
5 - المرجع السابق، ص 8.
6 _ غلامی، فتانه، تحليل رمان"سووشون"، مجله ی ادب فارسی، دوره ی بیست وسوم، بهار 89، شماره ی سه، ص56.
7 - من الحوار الذي أجري من قبل الباحثتين مع الكاتب الإيراني: "أمير حسن چهلتن" فی تاريخ 17 آب عام 2008.
8 - شهلا زرلكي:" نفرين وآفرين زن"، نافه، شماره 24، سال پنجم، فروردين – ارديبهشت 1384، ص 15، بتصرف.
9 - شهرنوش پارسی پور: " برای چه می نويسيد؟"، دنيای سخن، شماره 17، فروردين 1367، ص9، بتصرف.
10 - فرانتس نويمان:" روشنفكران در غربت"، تر: عزت الله فولادوند، تهران، مجله كلک، فروردين1372، ش 37، ص 23، بتصرف.
11 - المرجع السابق، ص 23.
12 _ خالد معيوف محمود، الاغتراب الديني تجلياته في شعر صدر الاسلام، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 20، العدد3، آذار 2013، ص96.
13 - سيمين دانشور، سووشون، تهران، انتشارات خوارزمی، چاپ دهم، فروردين 1360، ص 16.
14 - المصدر السابق، ص 78.
15 - المصدر السابق نفسه، ص 247.
16 - حسن عابديني، صد سال داستان نويسي ايران، جلد 1و2، تهران، نشر چشمه، چاپ سوم، 1383، ص 741، بتصرف.
17 - گلی ترقی، خواب زمستانی، تهران، انتشارات نيلوفر، چاپ ششم، 1385، ص 112.
18 - شهرنوش پارسی پور، سگ وزمستان بلند، تهران، انتشارات اسپرک، چاپ دوم، 1369، ص 71.
19 - فيصل دراج:" أنا المغتربة ومعنى التاريخ"، مجلة الآداب،8/7، 2001، ص 15، بتصرف.
20 - شهرنوش پارسی پور، سگ وزمستان بلند، تهران، انتشارات اسپرک، چاپ دوم، 1369، ص 67/ 68.
21 - غزاله عليزاده، خانه إدريسي ها، تهران، انتشارات توس، چاپ چهارم، 1383، ص 8.
22 - المصدر السابق، ص 159.
23 - فيصل دراج:" أنا المغتربة ومعنى التاريخ"، مجلة الآداب،8/7، 2001، ص 18، بتصرف.
24 - د. مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2006، ص252.
25 - غزاله عليزاده، خانه ادريسي ها، تهران، انتشارات توس، چاپ چهارم، 1383، ص 177.
26 - المصدر السابق، ص 8.
27 - د. مراد وهبة:"الاغتراب والوعي الكوني"، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول،1979، ص 100.
28 - د. فايز عز الدين:" اغتراب الكاتب في الروح والواقع"، الموقف الأدبي، العدد 425، السنة الخامسة والثلاثون، 2006، ص 31.

29 - سيمين دانشور، سووشون، تهران، انتشارات خوارزمي، چاپ دهم، فروردين 1360، ص 123.
30 - زويا پيرزاد، چراغ ها را من خاموش می كنم، تهران، نشر مركز، چاپ بيست وهشتم، 1387، ص 177.
31 - المصدر السابق، ص 179.
32 - المصدر السابق نفسه، ص 202.
33 - نفسه، ص 179.
34 - نفسه، ص 78/ 79.
35 - بلقيس سليمانی، بازی آخر بانو، تهران، انتشارات ققنوس، چاپ چهارم، 1386، ص 193.
36 - المصدر السابق، ص 130.
37 - المصدر السابق نفسه، ص 147.
38 - نفسه، ص 193.
39 - سودابه اشرفی، ماهی ها در شب می خوابند، تهران، انتشارات مروارید، چاپ چهارم، 1385، ص 100.
40 - المصدر السابق، ص 111.
41 - برقاوي، أحمد، الأنا، دمشق، د. منشورات، د.ط، 2005، ص 115، بتصرف.
42 - د. صبار نورالدين: "الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية"، الموقف الأدبي، العدد، 355، تشرين الثاني 2000، السنة الثلاثون، ص 18، بتصرف.

المصادر:

اشرفی، سودابه، **ماهی ها در شب می خوابند**، تهران، انتشارات مروارید، چاپ چهارم، 1385.

پارسی پور، شهرنوش، **سگ وزمستان بلند**، تهران، انتشارات اسپرک، چاپ دوم، 1369.

پيرزاد، زويا، **چراغ ها را من خاموش می كنم**، تهران، نشر مركز، چاپ بيست وهشتم، 1387.

ترقي، گلي، **خواب زمستانی**، تهران، انتشارات نيلوفر، چاپ ششم، 1385.

دانشور، سيمين، **سووشون**، تهران، انتشارات خوارزمي، چاپ دهم، فروردين 1360.

سليمانی، بلقيس، **بازی آخر بانو**، تهران، انتشارات ققنوس، چاپ چهارم، 1386.

عليزاده، غزاله، **خانه إدريسي ها**، تهران، انتشارات توس، چاپ چهارم، 1383.

المراجع:

ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن محمد، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: محمد بو خبزة وسعيد أعراب، دار الكتاب، ط1، 1986 بيروت.

برقاوي، أحمد، **الأنا**، دمشق، د. منشورات، - د.ط، 2005.

بركات، حليم، **الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006.

حجازي، مصطفى، **الإنسان المهدور**، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط 2، 2006.

السيد، غسان، **دراسات في الأدب المقارن والنقد**، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، د. ط، 1996.

عابديني، حسن، **صد سال داستان نويسي ايران**، جلد 1و2، تهران، نشر چشمه، چاپ سوم، 1383.

الدوريات:

بارسي بور، شهرنوش: "براى چه مى نويسيد؟"، **دنياى سخن**، شماره 17، فروردين 1367.

خالد، معيوف محمود: "الاغتراب الديني تجلياته في شعر صدر الاسلام"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم**، المجلد 20، العدد3، آذار 2013.

جهلتن، أمير حسين، في الحوار الذي أجريّ معه من قبل الباحثتين في تاريخ 17 آب عام 2008.

دراج، فيصل: "أنا المغتربة ومعنى التاريخ"، **مجلة الآداب**، بيروت، 8/7، 2001.

زرلكي، شهلا: "نفرين وآفرين زن"، **نافه**، شماره 24، سال پنجم، فروردين – ارديبهشت 1384.

عز الدين، فايز: "اغتراب الكاتب في الروح والواقع"، **موقف الأدبي**، العدد 425، السنة الخامسة والثلاثون، 2006.

غلامى، فتانه: "تحليل رمان سووشون"، **مجله ى ادب فارسى**، دوره ى بيست وسوم، بهار 89، شماره ى سه.

نورالدين، صبار: "الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية"، **الموقف الأدبي**، العدد، 355، تشرين الثاني 2000، السنة الثلاثون.

النوري، قيس: "الاغتراب: اصطلاحا ومفهوما وواقعا"، الكويت، **مجلة عالم الفكر**، المجلد العاشر، العدد الأول، 1979.

نويمان، فرانتس: "روشنفكران در غربت"، تر: عزت الله فولادوند، تهران، **مجله كلك**، فروردين1372، ش 37.

وهبة، مراد: "الاغتراب والوعي الكوني"، الكويت، **مجلة عالم الفكر**، المجلد العاشر، العدد الأول، 1979.